المحاضرة الثانية عشر

من أركان مقدمة التحقيق: دراسة ونقد متن الكتاب منهجا وموضوعا

دراسة متن الكتاب ونقده يدور على الفروع التالية:

أولا: تحقيق نسبة الكتاب لمؤلفه وعنوانه

والمقصود هنا شيئان إن اختل أحدهما بطلت النسبة:

١- صحّة نسبة كتاب بهذا الاسم والموضوع للمؤلف.

٢- صحة كون هذا المتن المخطوط هو بعينه ذلك الكتاب المنسوب للمؤلف[١].

ويتحقق منها بالأمور التالية:

- ✓ النسخ المخطوطة للكتاب: ما كتب على العنوان.
- ✓ ما ورد في المتن من تسمية المؤلف في المقدمة والخاتمة بل وفي ثنايا الكتاب.
- ✓ ما ورد من تسمية كتب أخرى للمؤلف صحت نسبتها إليه.
- ✓ ما ورد على النسخة من نسبته للمؤلف: من خلال الناسخ، السماعات الموجودة على النسخة ثم يأتي الأسلوب والآراء، ولغة المؤلف ونحو ذلك، ثم وجودها في خزانته ونحوها، وهي متفاوتة في قوة الدلالة.
- ✓ كتب المؤلف الأخرى: وما ورد فيه من كلام للمؤلف بتسميته والإحالة عليه/ وكذا تشابه أسلوب الكتاب ولغته، واتحاد اختيارات المؤلف في الغالب بين كتبه.
- ✓ مختصرات الكتاب أو شروحه ومعارضاته.
- ✓ كتب تلامذته وأقرانه.
- ✓ ما ينقله العلماء عنه.
- ✓ كتب التراجم والتاريخ بأنواعها.
- ✓ كتب الفهارس والبرامج، الإجازات.
- ✓ فهارس المخطوطات

---

[١] نظير هذا ما وقع في كتاب "تنبيه الرجل العاقل" لشيخ الإسلام ابن تيمية فله كتاب ثابت بهذا الاسم؛ وقد طُبع هذا الكتاب منسوبا إليه؛ لكن لم يرتضه بعض الباحثين في كون هذا المتن ليس هو نفسه كتاب ابن تيمية.

✓ الفهارس الخاصة بعلماء معينين.

ولا يعني هذا أنه لا يمكن أن يحقق كتاب ويطبع حتى تصح النسبة، بل قد تحقق كتب إن علت مكانتها العلمية واشتدت الحاجة إليها، وكان في متونها أصالة ورصانة علمية.

ومما ينبغي التنبه له هنا:

– الحذر من الاغترار بما يوجد في فهارس المخطوطات.

– الحذر من مجرد تطابق النسبة والعنوان مع اسم مشهور للمصنف فقد يكون كتابا آخر له، أو يكون كتابا لشخص آخر شابهه في العنوان، ومن أعظم ما يختبر به هذا هو مقارنة محتوى الكتاب بالنصوص المنقولة عنه من أهل العلم؛ ومما يدخل في هذا أن يوجد من الكتاب أوراقه الأولى ثم يضمّ إليه بالخطأ أوراق كتاب قد يشابهه في المادة ويقترب منه.

– الحذر من الأخطاء والتصحيفات الواقعة في كتب التراجم والتاريخ والفهارس.

– قد تنعدم النسبة الصريحة في كتب التراجم والتاريخ ونحوها وحينها يعتمد على القرائن الأخرى المذكورة.

– قد يجد الباحث نسخة ما منسوبة لغير مؤلفها فعليه بيان ذلك بالأدلة المعتبرة.

ثانيا توثيق عنوان الكتاب[٢]:

ومظانه مرتبة حسب القوة في ما يلي:

– تسمية مؤلفه له في: واجهة الكتاب، أو في المقدمة أو في الخاتمة، أو في العنوان إذا كان بخطه وهو أقواها (مثل: كتب الواسطي الديواني عليها الاسم بخطه)، أو عليه خطه، أو سمع عليه، ثم تسميته له في كتبه الأخرى.

– تسميته في النسخ المخطوطة لاسيما إذا كثرت.

– تسميته في كتب تلاميذه ومن جاء بعدهم، وكذا في كتب التراجم والتاريخ والفهارس والبرامج.

– تسميته في فهارس المخطوطات

وعلى الطالب أن ينتبه لجملة أمور:

– قد تتعد أسماء الكتاب: إما من وضع المؤلف، مثل كتاب اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي سماه أيضا منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات.

أو يكون سببه الاختصار إما من المؤلف أو من جاء بعده؛ أن يكون سببه الوهم والخطأ.

---

٢ انظر: العنوان الصحيح للكتاب، الشريف حاتم العوني، ص ٢٢ وما بعدها.

– قد لا يضع المؤلف عنوانا لكتابه أصلا فيجتهد من بعده في تسميته إما بمراعاة الموضوع أو مراعاة كلمات افتتح بها المؤلّف كتابه.

– يحذر الطالب من اتفاق أسماء الكتب عند كثر من العلماء في العلم الواحد

وقد تتفق الأسماء وتختلف العلوم وهو كثير مثل:

الدرر اللوامع في قراءة نافع/ الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع في اللغة

التيسير في القراءات السبع/ التيسير في شرح الجامع الصغير

الشاطبية في القراءات/ الشاطبية في الرسم.

الكامل في القراءات/ الكامل في التاريخ/ الكامل في الضعفاء.

– قد تصح نسبة الكتاب واسمه، ولكن يكون قد تعرّض لشيء من الاختصار والتهذيب[٣].

ثالثا: تاريخ تأليف الكتاب

وتاريخ التأليف يعزز صحة النسبة ويؤكدها، وهو إما صريح من طرف مصنفه أو من تلاميذه؛ وقد لا يكون صريحا بل يستنتجه الباحث بناء على ارتباطه بحدث آخر أو بكتاب أو بشخص مذكور في الكتاب وبتاريخ النسخ المخطوطة ونحو ذلك من القرائن.

والفائدة من تحديد التاريخ أنه يعزز صحة نسبة الكتاب لصاحبه؛ كما يعطي للباحث فرصة تتبع تطور أفكار المؤلف وآرائه؛ وبه تتميز درجات العلماء ببيان من له فضل السبق على غيره.

رابعا سبب التأليف وغرضه: وهذا مهمّ؛ فإن معرفة السبب تورث معرفة المسبب،

قد يستنبط الباحث سبب التأليف من خلال دراسته لمعطيات عصر المؤلف ونحو ذلك.

خامسا: منهج المؤلف في كتابه:

ويدخل في هذال الفرع عدة مسائل: موضوع الكتاب/ طريقة التبويب / مصادره / منهجه في مناقشة المسائل/ أهم اختياراته العلمية.

١ – **موضوع الكتاب:** فيعرّف بموضوعه العام ثم الخاص؛ وتحديد موضوع الكتاب يهيء للباحث طبيعة المراجع التي سيرجع إليها في ضبط المخطوط، وتصحيحه، والتعليق عليه؛ كما تهيّء للمطالع تقييمه.

---

٣ انظر مثالا على اختصار النسخ والتصرف فيها ما ذكره د. أحمد شرشال في مقدمة تحقيقه لـ: مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان ابن نجاح الأموي الأندلسي، ج١/ص ٣٧٥.

ويحاول الطالب هنا التعريف بالعلم الخاص بهذا الكتاب، وتلخيص مساره التاريخيّ باختصار؛ مبينا مكان هذا الكتاب في هذا المسار التاريخيّ لهذا العلم.

٢ – **طريقة التبويب والترتيب**: والمقصود به هنا المسلك المنهجيّ الذي تبعه في عرض مسائل الكتاب؛ فإذا تعرف الباحث منهجه وتحقق منه سهل عليه أمر التحقيق بمقارنته بمصادره؛ ثم عليه تقييم هذه الطريقة من حيث النفع والسلامة وغيرها، والموافقة للمادة العلمية المطروحة من عدمها.

٣ – **الاصطلاحات الخاصة بالكتاب**:

اصطلاح الكتاب قد يكون تابعا فيه لمن قبله مثل اصطلاحات ابن الجزري في النشر "الحرميين، المدني، الكوفيين، البصريين....) فقد تابع في أكثرها من سبقه كالداني والشاطبي؛ وقد يكون اصطلاحا مبتكرا منه كالشاطبيّ، وقد تكون اصطلاحاته عبارة عن رموز بحروف أو اختصارات لا معاني لها في الأصل (الشاطبية، الطيبة، جهد المقلّ[٤])

أن يراعي في تفسير الاصطلاحات وفهمها تخصص الكتاب وعصره والمذهب الذي ينتمي إليه المؤلف؛ فإن الاصطلاحات تختلف باختلاف ذلك؛ فمثلا: فمصطلح الشيخين في كتب الفقه المالكي ليس هو معناه في كتب الحديث؛ ومصطلح الإعراب في كتب معاني القرآن ليس هو نفسه مصطلح النحويين.

وطريقة معرفة المصطلحات كما يلي:

أما العامة فبتتبع مشهور مصطلحات ذلك العصر.

وأما المصطلحات الخاصة فطريقة معرفتها تكون إما بنص مؤلفه على ذلك في المقدمة أو في ثنايا الكتاب كالشاطبي في نظمه[٥]؛ الصفاقسي في كتابه غيث النفع؛ أو يكون بناء على تتبع الكتاب واستقرائه مثل ما عرف من اصطلاح البخاري (منكر الحديث) أو (فيه نظر) فهي عنده من أقسى عبارات الجرح.

٤ – **طريقته في مناقشة المسائل العلمية في الكتاب**:

وهذه ترجع لطبيعة كل كتاب والعلم الذي يعالجه: ومن الأمور المشتركة التي يمكن أن تطرح في هذا الفرع:

- ✓تمييز الكتاب هل هو من كتب السرد المجرد أم من كتب الاستدلال للمسائل.
- ✓تمييز الكتاب هل هو فيه مناقشة المسائل والرد على المخالفين أم مجرد تقرير لمذهبه والاستدلال له.
- ✓من حيث توسعه في المناقشة والاستدلال أو اختصاره؛ ومن حيث تنويع الأدلة وكثرتها.

---

٤ انظر: جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده، ص١٠٧.

٥ انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ج١/ ص٤٤.

✓من حيث ذكر الآراء لمخالفيه وموافقيه بالنص أو بالمعنى ودقته وأمانته في نقلها أو اختصارها.

✓من حيث انصافه وتعصبه.

٥ - أهم اختياراته وآراءه في أبرز المسائل العلمية

ويركز على المسائل المتعلقة بموضوع الكتاب الأساسيّ، وينبني هذا الفرع معرفة مذهب المؤلف فإذا عرفه فيكون الأصل في تقريراته أنه تبع لأصول مذهبه؛ ثم يتتبع الباحث ما خرج فيه المؤلّف عن المقرر في مذهبه فذاك هو الذي يشكل اختياراته وآراءه؛ فيختار أبرز تلك المسائل بشرط تعلقها بالموضوع الأساسي للكتاب[٦].

وأما المسائل التي لا تنتمي للموضوع الأصلي للكتاب؛ كأن يكون الكتاب في الفقه أو التفسير وطرق مسألة حديثية وله فيها اختيار فليتجاوزها الطالب إلا على وجه الإشارة.

٦- قيمة الكتاب وأثره في الحركة العلمية بعده:

وأهمية هذا الفرع واضحة للعيان إذ بسببها أقدم الطالب على تحقيق الكتاب ونشره؛ فلولا الأهمية والقيمة لما كان هناك سبب لتحقيقه؛ ويسلك الباحث في تبين قيمة الكتاب السبل التالية[٧]:

- ما سبق في قيمة ومنزلة مؤلفه فكل ما عظمت منزلة المؤلف انعكس ذلك على كتبه.
- نص العلماء على قيمة الكتاب ومدحه له مادة أو منهجا.
- تكرر ذكره في كتب أهل العلم.
- كما يمكن استنتاج قيمته من حيث ابتكاراته وسبقه وعمقه العلميّ.
- ومما يتبين به قيمته أيضا ما قام حوله من أعمال من اختصار أو نظم أو شرح ونحو ذلك.
- ومما يدخل فيه التنويه بقراءته أو الإجازة فيه في أخبار هذا العلم.
- كثرة نسخه في العالم (وهذا ليس على اطراده).

وأما أثره فيكون بتتبع تأثيره في العلم من عدة نواح:

- قراءته وتداوله بين أهل العلم ويحسن بالطالب أن يتتبع ذلك عبر القرون.
- استفادة أهل العلم منه: بالنقل عنه في كتبه، أو باتباع طريقته.
- تأثيره في الواقع الدراسي بأن يكون محلا للحفظ والشرح والسماع.
- تأثيره في إصلاح الواقع بشتى أنواعه.

---

٦ انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٨.

٧ انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٨.

٧ – ما ينتقد على الكتاب:

إمّا من النواحي العلمية: كضعف استدلال، أو خروج عن الإنصاف، أو أوهام أو نحو ذلك.

أو من الجهة المنهجية: كاضطراب ترتيب، أو اختصار مخل أو إسهاب في غير محله؛ أو عدم وفاء بما اشترط المؤلف على نفسه، أو نقول غير معزوة أو غير دقيقة.

وليلزم الباحث في ذلك كله الأدب والاحترام وليستحضر قوله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)؛ ولا يخرج عن المناقشة العلمية وليحاول أن يقدم الأعذار للمؤلف إن أمكنه ذلك ولكن دون تكلّف بارد.